

(مقرظ لا مقرطق)

نشرت الرسالة الغراء في عددها الصادر في أول نوفمبر سنة ١٩٣٣ كلمة تحت عنوان « قص الشعر في الادب العربي » بقلم الاستاذ على شرف الدين جاء فيها (. . . فقد كانوا يضعون الأقراط في أذان سقاتهم من الغلمان ويطلقون على كل منهم (غلام مقرطق) الخ فالاستاذ يريد بهذا ان يقول : ان الغلام الذى يوضع القرط في اذنه يسمى مقرطقاً وهو خطأ منشؤه عدم التفرقة بين القرط والقرطق ، وبين المتحلى بالقرط ولابس القرطق . فالتحلى بالقرط يسمى مقرطاً ولابس القرطق مقرطقاً ، والقرطق ملبوس من ملابس العجم يشبه القباء . قال الفيروز آبادي في القاموس : القرطق كجندب لبس معروف معرب كرتة ، وقرطقته فتقرطق البسته اياه فلبسه « اه » وفي المصباح القرطق مثال جعفر ملبوس يشبه القباء وهو من ملابس العجم اه

فانت ترى أنهم لم يختلفوا في معنى القرطق فهم متفقون على انه ملبوس يشبه القباء وأما الخلاف في ضبطه فجعله صاحب القاموس كجندب وجعله الفيومى في المصباح كجعفر . (وقد حرفة المولدون) في اشعارهم كقول بن المعتز :

ومقرطق يسعى الى الندماء بعقيقة في درة بيضاء
واخطأ عمر الوداعي فظن مقرطق بمعنى ذى قرط في قوله :

قلت لهم لما بدا مقرطق يحكى القمر
هذا ابو لؤلؤة منه خذوا ثار عمر

وانما هو مقرط كما في شرح الفصيح (١) اه ولعل الخطأ تطرق الى الاستاذ من الوداعي صاحب هذين البيتين فظن المقرطق ذا القرط كما ظن هو نفسه وعلبت عدم صحته ؟

(١) من التعليقات على ادب الكتاب

رواية الابناء والمحبين

للكاتب الانجليزى د . ه . لورنس

نقد وتحليل

أراد د . ه . لورنس في روايته أن يصور لنا قى خيالى النزعة دقيق المشاعر فى دور الانتقال الاول من حياة الصبى الى حياة الرجل

وليس الفتى « بول » فى هذه الرواية الا الفتى د . ه . لورنس نفسه ، فابوه عامل خشن من عمال المناجم يعول أسرته بعمل ذراعيه ولا يعرف من لذات الحياة غير المأكل والمشرب ولا سيما الاخير منهما . وأما مسز موريل أمه فامرأة مهذبة من أسرة من الطبقات المتوسطة ، كان ابوها مهندسا وكان رجلا كبير الجثة جميلا بادي العظمة فخوراً بلون بشرته الابيض وزرقة عينيه وفخوراً أكثر باستقامته ، وقد شابهت جرتروود (أى مسز موريل) أمها فى ضالة البنية ولكنها ورثت خلقها بما فيه من تكبر وشدة حساسية من أسرة أبيها »

ومع ذلك تزوجت هذه المرأة المهذبة من ذلك العامل الخشن ، فقد قابلت وهى فى الثالثة والعشرين من عمرها فتى من وادى أرواش فى حفلة من حفلات عيد الميلاد ، وكان موريل عندئذ فى السابعة والعشرين من عمره ، وكان جميل الجسم معتدل القامة ظاهر النشاط ذا شعر اسود متموج لامع ولحية سوداء قوية لم تحلق قط ، وتلوح على خديه علائم الصحة ، ويلفت النظر فيه الاحمر الرطب لانه كان يضحك كثيراً ويضحك من أعماق قلبه ، وقد وهب ، تلك الموهبة النادرة أعنى الضحكة القوية الرنانة ، ولاحظته جرتروود فسحرت به وكان مليئاً بالألوان والحياة ويتنقل صوته بسهولة الى المضحك الغريب ، وكان سريع الخاطر ظريفاً مع الجميع ، وكان أبوها يميل الى الفكاهة النازعة الى السخرية ، ولكن هذا الرجل يختلف عنه ، ففكاهته ناعمة بعيدة عن التعمق الذهني وحارة فيها نوع من اللعب

« أما هى فكانت على الضد من ذلك ذات عقل دائم التساؤل قابل للعلومات يجد لذة كبيرة فى الاصغاء الى الآخرين وكانت ذكية فى جر الناس الى الكلام ، تحب الآراء وتعتبر متقنة

فلا أنا أدانى اجتهدى بُعيتى
ولا الدهر ممّا عشتُ أبغى مقرّبى
وما فُزْتُ من خِدْنٍ بخير من الذى
لدىَّ ومن خُودٍ ودَارٍ ومَطْلَبٍ
ولم أرَهَا إِلَّا طُيُوفًا تَبَاعَدَتْ
مدى العمر ما تدنُّو إلى مَرَقَبٍ !
فخري أبو السعود

تثقيفا كبيرا ، وتحب بنوع خاص المناقشة في الدين والفلسفة والسياسة مع رجل مذهب ، ولكنهم لم تكن تمتع بهذه الفرصة كثيراً ، لذلك تحمل الناس على أن يتكلموا معها عن انفسهم وتجذب ذلك لذة كبرى ، وكانت في شخصها ضئيلة ورقيقة ذات جبهة عريضة تتساقط عليها عناقيد من الحرير الاسمر المجعد ، وعيناها الزرقاوان مستقيمتان أميتان باحتقان ، يداها جميلتان كسائر أهلها ، وملابسها دائماً ذات لون قاتم فلبس رداء من الحرير الازرق الغامق ، وتضع سلسلة فضية ذات شكل خاص ودبوس كبير من الذهب المجذول ، هذا كل ما تزين به ، وكانت بعيدة عن الاهواء شديدة التمسك بالدين ، مليئة بالصراحة الجميلة .

فن والتر موريل عند ما التقى ناظراه بناظرها ، فكانت عند هذا موضوع غرابة وسحر إذ كانت سيدة فهي اذا كلته نطقت في لفظ جنوبي وفي انجليزية صافية يرتعش لسماعها «

ليس موضوع الرواية حب والتر موريل عامل المناجم وتزوجه من جرتروود كوبارد ، وانما موضوعها أجل من ذلك ، ولكننا أردنا أن نسوق شيئاً من وصف الرواية لها كي نتعرف اليهما قبل أن نتعرف الى ابنهما الصبي بول موريل

وليس بول بكر أولادهما ، فوليم موريل كان أكبر الأولاد واليه تحول حب الام حين حل الجفاء بينها وبين زوجها محل الحب الاول ، اذ لم تلبث السيدة موريل وهي المهذبة المثقفة أن اكتشفت حقيقة زوجها ورأت وراء ذلك الجسد الذي سحرها بفتوته روحاً خشنة غير مهذبة ، وأخذ زوجها كزملائه يقبل على الكاس فلا يذهب الى البيت الاثماً ، واذا كان ثملاً ، كان جافاً تبدو خشونة طباعه .

الى الابناء ولا سيما الابن الأكبر ولیم تحول حب الام وصممت بعزيمتها الفولاذية على أن يكون أبناؤها مثقفين بارزين في مضمار الحياة ، وكان ولیم فتي طموحاً يميل الى التعلم وقد تمكن من أن يجد عمل كاتب في أحد المحال القريبة من قريتهم ثم انتقل الى عمل في لندن وصارت زيارته للأسرة عيداً من الاعياد .

وأحب ولیم فتاة من الكاتبات في لندن وعزم على الزواج منها فقدمها الى عائلته وكانت فتاة كثيرة الاهواء محبة للظواهر ورأت الام بعين الخنو انها لا تصلح لابنها ولكنها بعين الخنو أيضاً سكنت على مضض .

على أن الفتى كان يكتشف حبيبته شيئاً فشيئاً ، ويرفع الستر عن

عينية كما يدل على ذلك حديثه في زيارته الاخيرة لأسرته ، وكان ذلك في مساء يوم السبت

« وقد خاطبها مرة واحدة في ذلك المساء وكان يتكلم عن حبيبته في لهجة الحزن والالم :

« ولكنك تعلمين يا أماء اني لو مت لتألمت شهرين ثم تأخذ في النسيان ، وسترين انها لن تأتي الى هذا المكان لتنظر الى قبري — لن تأتي مرة واحدة ،

فقلت امه : ولكنك لا تموت يا ولیم ، فلماذا تتكلم عن الموت ؟ على ان القدر رسم له ان يموت ، فقد عاد الى لندن في منتصف ليل الاحد وفي يوم الثلاثاء تسلمت مسر موريل برقية بان ابنها مريض ، فأسرعت الى القطار ولاريب في ان الام كانت تشعر ذلك الشعور الخفي بالكارثة ، ولا ريب في انها كانت تقاوم ذلك الشعور وتغالبه فلا تستطيع ، ووصلت الى لندن لتراه يموت بين احضانها دون أن يتعرف الى امه

ان الصفحات التي وصف فيها د . هـ . لورنس دخول الموت الى هذه الأسرة لى من اروع ما كتبه

تخطمت آمال الام في ولیم فتحولت الى ابنها بول ونشأ بول كما نشأ جميع افراد العائلة على حب الام وعلى ان يعتبر اباه خارجاً عن الأسرة ، ونجد صورة من ذلك في مرض حدث له وهو لا يزال صياً :

« اصيب الغلام بنزلة صدرية ولكن لم يهتم لها كثيراً ، فان ماحدث قد حدث ، وليس ثمة فائدة من مقاومة الاشواك ، وكان يجب المساء بعد الساعة الثامنة عندما تطفأ الانوار ويستطيع ان يرقب لهيب نيران الموقد يبدد ظلام الحائط والسقف ، ويرى ظلالاً عظيمة تتموج وتضطرب ، وكأن الغرفة امتلأت برجال يتقاتلون في سكون كان الاب يدخل غرفة المريض قبل أن يأوى الى فراشه ومن عادته ان يكون في نهاية الرقة اذا مرض احد في البيت ، ولكنه كان يعكر جو الغرفة لدى الغلام

سأل موريل في رفق : « هل أنت نائم يا بني ؟ »

فأجاب الغلام : « لا ! هل امي آتية ؟ »

انها انتهت الآن من طي الملابس ، أتريد شيئاً ؟ وكان موريل

يخاطب اولاده بلهجة الاحترام

— لا أريد شيئاً ولكن هل تغيب طويلاً ؟

— لا تغيب طويلا يا بني

ووقف الاب برهة في تردد فوق الطنفسة المبسوطة امام الموقد وقد شعر ان ابنه لا يريد، ثم ذهب الى اعلى السلم وقال لزوجته .
— ان الطفل يريدك ! هل يستغرق عمك وقتا طويلا ؟

— لن اتركه حتى انتهى منه ، قل له ينام

فقال الوالد لابنه في لطف : « انها تقول لك نعم »

فأح الغلام : « اني اريد ان تأتى »

فنادى موريل من السلم ، لن ينام حتى يراك

— كفى ! فلن آتى حتى انتهى من عملي ، ثم كهناك صباح من اعلى السلم ، فان الاطفال الآخرين

فقال الاب : « لن تغيب طويلا »

وظل الاب يحول في الغرفة ، وبدأ على الغلام ، القلق وكأن وجود ابيه زاد من نفاد صبره ، واخيرا وقف موريل امام ابنه لحظة ثم قال في صوت رقيق : « ليلة سعيدة يا العزيز »

فأجاب بول : « ليلة سعيدة » ودار بجسمه الى جانبه الآخر وقد شعر بالارتياح لانه صار وحيدا .

وكان بول يحب ان تمام امه معه ، وما زال النوم في اكمل حالاته على الرغم من اقوال الاطباء عندما يشترك فيه المحبوب فان حرارة الروح وطمأنينتها وأمنها والراحة الكبرى في تلامس الجسدين تربط النائم بالنوم بحيث يكون الجسد والروح في عنايته وقد رقد بول الى جانبها ونام وتحسنت حالته ، اما هي والنوم لا يزورها سريعا فقد نامت بعد ذلك نوما عميقا اعاد الى نفسها قوة الايمان »

ولكن الامهات لا يلبثن ان يجدن منافسات لهن في ابنائهن ، ورواية الابناء والمحين . ان هي الا قصة ذلك النضال الحني الذي يقوم بين الام وبين تلك التي تريد ان تحول قلب ابنها اليها .

ففي مزرعة ويلي وجد بول حبه الاول : فتاة هي اخت لاصدقائه اولاد اصحاب المزرعة

كانت مريم ذات نزعة خيالية وكانت كبيرة التعلق بامها « وكان كل منهما ذات عينين عسليتي اللون ، وزات نزعة صوفية » فكانت من اولئك النساء اللاتي يكتزن الدين ويتنفسنه من انوفهن ، وكانت مريم تظن الله والمسيح شخصا واحدا تحبه حبا شديدا وتحشاه »

« وكانت هذه المخلوقة لانهم لجالها الخجل المتوحش المتوقد حساسية ، بل لا تكفيها تلك الروح ذات النزعة الشعرية فكانت ، تبحث عن شيء آخر يقوى ما طبعت عليه من كبرياء ، لانها شعرت بانها

تخالف غيرها من الناس ، ولكنها نظرت لبول نظرة اخرى فبى بوجه عام تذكره الرجال ، على انها رأتهم من نوع آخر سريعا خفيفا رقيقا قد يكون احيانا آية في المطف ويتغلب عليه الحزن احيانا ، وهو ذكي يعرف الشيء الكثير وقد طاف الموت مرة بمائلته ، ورفع في عينها الى السماء ما حصل عليه من المعلومات الضئيلة .. »
احبته الفتاة واخذ الفتى يفتح قلبه للحب ، ولكنه كان حبا غريبا خفيا مزوجا بكل ما فيها من مشاعر الدين والتقوى ، واماحب الفتى فكان فطريا مزوجا بتلك العاطفة التي يمتزج بها الحب كثيرا في نفس فتى تحول قريبا من دور الصبي الى دور الرجل ، وقد رأت فيه الفتاة مثلا أعلى للرجل المتصف باكمل الصفات ، أما الشاب ذو الشفة المرتعشة بحرارة الشهوة فكان ينظر الى الحب من ناحية أخرى لم يلبث الفتى ان مل هذا الحب ، واراد حبا أكثر أنسانية واقل تطلعا الى الملائكة ، ووجده عند كلارا التي كان يعمل معها في محل واحد

تعلق الفتى بها وتعلقت به ، وتجادب النفسان تلك العاطفة نجاذبا ، نقرأه بدقائقه في هذه الرواية ، ولكن شيئا كان يحول بين توافق هذين القلبين كما كان يحول بين توافق قلب بول ومريم

الواقع ان هنالك حبا آخر عنيفا محطما كان يعمل دائما على التفريق ، وهذا الحب المحطم هو حب الام لولدها ، فبول كان شديد التعلق بامه وامه شديدة التعلق به والحنو عليه ، فلما ان طمحت نفسه الى حب آخر لم يجد الى التخلص سبيلا ، انه لم يشعر بذلك لان هذا الحب كان يجتذبه بخيوط خفية دقيقة لا يراها ولا يستطيع الا ان يظل فريسة ، فعندما تحول حب بول عن مريم كانت الام تجتذبه ، وعندما تحول حبه عن كلارا كانت الام تجتذبه ولم تكن الام تعمل على ابعاده ولا هي تسعى لذلك سعيًا ظاهرا ، بل هي تود سعادته وخيره ، وتود ان يصل الى كل ما يرضيه ، وانما نفوذها القوى عليه وحمايتها الشديدة له وعنايتها به منذ صغره الى ان مرضت مرضها الاخير والى ان لفظت آخر انفاسها امامه - هذا النفوذ هو الذي حطمه في صباه وقد يحطمه في رجولته

فموضوع الرواية الحقيقي قد لا يكون حياة بول وانتقاله الى الرجولة وتفتح عينيه الى سر الحياة ، وانما هو : نفوذ الام وعطفا الذي قد يكون اشد خطرا على حياة الشاب من جميع الاخطار

وتعتبر هذه الرواية من اوائل روايات (د.ه. لورنس) ويضعها البعض في مقدمة رواياته لكن اسلوبها المصقول الحذر ينم على يد لم تكن من المران بحيث تطلق عنانها وان كنا نرى في التحليل الفسائي نبوغا لا يقل عن نبوغه في خير رواياته ؟

حسن محمود